

تطور التعليم في أفريقيا للمدة من (١٨٠٦-١٩٢٦م)

د. عباس غلام حسين*

الملخص :

يعد موضوع التعليم من الموضوعات المهمة التي تستوجب الدراسة في جنوب افريقيا ، ولاسيما تلك التي تختص بالشأن الأفريقي في ظل سيطرة أوربية بعيدة المدى بدءاً من الاحتلال الهولندي عام ١٦٥٢ ومروراً بالاحتلال البريطاني للجنوب الأفريقي وفرض هيمنتها ولغتها الانكليزية ومحو أي أثر تعليمي يتعلق بلغة السكان المحليين أصحاب الأرض .

قسمت الدراسة الى توطئة وثلاثة مباحث رئيسة ، تناول الأول جذور الاستعمار الهولندي منذ عام ١٦٥٢ حتى الاحتلال البريطاني لجنوب أفريقيا بعد مؤتمر فينا عام ١٨١٥. فيما ركز ثانيها حول الاحتلال البريطاني لجنوب إفريقيا ، حيث تم التطرق إلى أساليب الاحتلال ومحاولة فرض اللغة الانكليزية على سكانها وتضييق الخناق على الأوربيين ذي الأصول الهولندية ، فيما عكف الثالث وخصص لتسليط الضوء على الصراع الأوروبي ، سيما بعد استقلال جمهورية جنوب إفريقيا ذات الغالبية الهولندية عن الحكومة البريطانية ، ومبدأ الفصل العنصري بين التلاميذ البيض والسود في جنوب افريقيا ، وانتهت الدراسة إلى خاتمة ضمنها الباحث جملة من الاستنتاجات التي شكلت بدورها لبنات تأسيس أطر تعليمية صحيحة في المرحلة اللاحقة من تاريخ جنوب افريقيا .

Abstract:-

Education is one of the important issues that require study in South Africa ,especially after being subjected to colonial domination by the Netherlands and then Britain impose force, dominance and their language. They were erase any trace of education related to indigenous people. The study was divided into a prelude and four major sections dealing with the first Dutch colonial rule in(١٦٥٢), while the second focused in the British occasion(١٨٥٤). The third devoted to the principal of apartheid Europeans and local, The study ended to conclusion and a set of derivatives.

توطئة :

عد البرتغاليون لهم سبق في كشف الطريق إلى الشرق ، ففي عام ١٤٨٥ وصل (ديجوكام) إلى مصب نهر الكونغو. أما ذروة الرحلات البحرية الخطيرة فهي عام ١٤٨٦ للبحار البرتغالي أيضا (بارثلمودياز)^(١) ، في محاولاته للوصول إلى الهند . ولم تكن جنوب إفريقيا هي وجهته المقصودة أو هدفه الأساسي ، بل كانت وسيلة الوصول إلى الشرق ومن ثم إلى الهند حيث تجارة الرقيق والتوابل . وأبحر في عام ١٤٩٧ البرتغالي ذائع الصيت (فاسكوديكاما)^(٢) حول أقصى الجنوب الإفريقي وتحديد إلى مرفأ الناتال ، ومن هناك أكمل إبحاره إلى الهند . ومهما يكن من أمر فأن البرتغاليون لم يستقروا في الجنوب الإفريقي ، فقد كانت غايتهم البحث عن الذهب والعاج والرقيق وهذا لم يكن متوفرا في منطقة رأس الرجاء الصالح الذي كشف على يده ^(٣) .

المبحث الأول

الاستعمار الهولندي في جنوب إفريقيا

ظل الأوروبيون يجهلون جنوب إفريقيا حتى عام ١٦٥٢ ، عندما جرت سلسلة من الكشف الجغرافية للوصول إلى الهند . بينما أقدمت منافستها هولندا ، عبر شركة الهند الشرقية الهولندية التي أسست عام ١٦٠٢ ، وبناءها محطة على شكل مستعمرة صغيرة على خليج (تيبلي باي) في أقصى الطرف الجنوب الإفريقي والتي سميت فيما بعد بمستعمرة (رأس الرجاء الصالح Cape of Good Hoop)^(٤) ، أو مستعمرة الكاب التي أصبحت تتداول فيما بعد^(٥) .

على نحو عام لم تكن مستعمرة الكاب في نظر شركة الهند الشرقية الهولندية إلا موقعا متقدما رسميا صغيرا ضمن تخطيط واسع ، لذا لم تعر أي أهمية للناحية التعليمية لأسباب عدة منها عدم وجود رجال الدين وكذا المدرسين ، فضلا عن صعوبة استقدامهم وتنقلهم بين القرى والبلدات لبعدها عن الأخرى ، لذا اندمجت اللغة الهولندية الريفية شيئا فشيئا مع اللغات الأخرى ، فضلا عن ذلك أضيفت لها كلمات جديدة استوحت من لغات السكان المحليين ، مما أدى إلى اختفاء قواعد اللغة وهجاء الكلمات ، إذ تركزت الديانة في نطاق الأسرة فقط ، فكان لرب الأسرة إنجيل مطبوع بحروف هولندية كبيرة ، إلا إن وبمرور الوقت وتغير اللهجات وهبوط مستوى القراءة والكتابة ، صعب على الناس قراءة ذلك الإنجيل ، ومع افتقار المستعمرة لرجال الدين والمدرسين ، أصبحت نظرة الجماهير للناحية التعليمية وتعاليم المسيحية سطحية بالتدريج^(٦) .

بدأت مستعمرة الكاب الهولندية بالتوسع في جنوب إفريقيا ، وتم لها الاستيلاء على الأراضي التي يمتلكها السكان المحليون من أبناء القبائل مثل (البانتو)^(٧) (الهوتنتوس)^(٨) ، و (البوشمن)^(٩) ،

وإزداد عددهم من جنسيات أخرى مثل الفرنسيون والألمان وغيرهم ، فضلا عن استقدام المزارعون الهولنديون للعمل لدى الشركة كمزارعين الذين أطلق عليهم فيما بعد (بالبوير Boers)^(١٠). حيث حافظوا على أصولهم وتقاليدهم الهولندية من لغة ودين وغيرها^(١١).

المبحث الثاني

الاحتلال البريطاني لجنوب أفريقيا

في عام ١٨١٥ تمت لبريطانيا السيطرة الكاملة على مستعمرة الكاب بموجب مقررات (مؤتمر فينا)^(١٢) باعتراف الدول الأوربية رسمياً. وبدأت الهجرة البريطانية الى المستعمرة لزيادة النفوذ البريطاني على نطاق واسع لإيجاد نوع من التوازن السكاني، حتى بلغ عدد الجالية البريطانية نحو ثمانية آلاف نسمة عام ١٨٢٠^(١٣).

ومع مرور الوقت وفي ظل الاحتلال البريطاني وهيمنتها على جنوب أفريقيا أصدرت الحكومة البريطانية في عام ١٨٢٢ إعلاناً رسمياً نص على إن تصبح الانكليزية بالتدريج لغة رسمية في مستعمرة الكاب بدلاً من اللغة الهولندية ، حيث عدت تلك اللغة عام ١٨٢٧ لغة رسمية في المدارس والمؤسسات الحكومية كافة ، كما شاركت البعثات الإنسانية والتبشيرية للكنيسة الانكليزية الحكومة بهذا التوجه ، وبدأت بعملية التنصير وتشجيع الحملات التبشيرية على تعلم اللغة الانكليزية من خلال فتح المدارس التبشيرية ، ثم عزلت القضاة الهولنديين ، وفرضت العملة الانكليزية كونها مكملات الاحتلال ، فضلاً عن ذلك اقتصر تقديم المعونات المالية على المدارس التي يدرس فيها الانكليزية فقط^(١٤).

في الوقت الذي أصبحت فيه اللغة الانكليزية هي اللغة الرسمية في برلمان مستعمرة الكاب الذي انعقد في عام ١٨٥٤ ، إذ اعترف بها كلغة تعليم من عام ١٨٦٥ بصفة رسمية وترتب على هذا حرمان الهولنديون من دخول البرلمان مالم يتحدثوا بالانكليزية ، في الوقت الذي كانوا قد شكلوا ما يقرب من ثلثي أعضائه في المستعمرة ، ومن هنا كان على الهولنديين السعي للمطالبة بجعل لغتهم رسمية إلى جانب الانكليزية ، وفي الوقت نفسه أطلق البوير على لغتهم بـ(الافريكانرية)^(١٥)، وهي لغة الغالبية العظمى من البيض الأوروبيون في المستعمرة ، سيما وان هذه اللغة حديثة العهد مرتبطة بظروف حياة البوير مع الأفارقة ، بكونها اختلطت الأخيرة بلغات السكان المحليين ، سيما لغة البانتو لتشكل ذلك المزيج من تداخل اللغات حلقة تواصل وتقاوم بين شرائح المجتمع في جنوب إفريقيا^(١٦). لذا عمل الأدباء الهولنديون والمفكرون والكتاب على إنعاش

لغتهم من خلال تفعيل دور الصحف اليومية ، حيث برز العديد من الكتاب أمثال دويت ولويس ليبولدت و آويس كريج من خلال صحفهم الخاصة ، ولم ييأسوا هؤلاء رغم الإهمال الذي أصاب كتاباتهم لقلة عدد قراءهم من الهولنديين في أوروبا وحرمانهم من الانتشار الدولي. ومع ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العامية تلاشت شيئاً فشيئاً مخاوف بعض المتشددین من رجال الدين من إضعاف الروح الدينية نتيجة عدم قراءة الكتاب المقدس من قبل إلى الهولندية الفصحى^(١٧) .

أما (جمهورية جنوب إفريقيا)^(١٨) التي استقلت عن الحكومة البريطانية واستوطنت شمال نهر الفال التي كانت تعرف بـ(الترانسفال) في الطرف الجنوبي لإفريقيا المعروفة تاريخياً بـ(الهجرة الكبرى)^(١٩) في عام ١٨٣٦ إلى خارج مستعمرة ألكاب . وخلال الهجرة انصب العبء الأكبر في تعليم الأبناء على عاتق الإباء ، فيجمع كل أب أولاده بعد الغداء أو العشاء ليشرع بالقراءة والكتابة من الكتاب المقدس (التوراة) كتاباً للتعليم ، وكانت لغة التعليم هي الهولندية إلى جانب لغة الافريكانر الحديثة المتداولة ، حيث تولى البوير بناء مدارس لأبنائهم ، واقتصر على مراحلہ الأولى (الابتدائية والمتوسطة)، فكان على الذين يسعون لإتمام تعليمهم العالي السفر الى هولندا أو بريطانيا أو إلى مستعمرة ألكاب^(٢٠).

وخلال المرحلة التي تلت الهجرة الكبرى لعام ١٨٣٦، أي المجتمع البويري الجديد خلف نهر الفال انقطع عن التقدم العلمي والتطور في شتى مجالاته ومجمل الأمور في تلك المرحلة ، اذ لم يكن في الترانسفال بعد الهجرة رجل متعلم بالمعنى المفهوم ، بل وحتى بعد اتفاق نهر الساند في عام ١٨٥٢ الذي نال فيه الأخير استقلاله عن الحكومة البريطانية ، لذا صار لزاماً على القلة القليلة من المدرسين الذين التحقوا بالمهاجرين أن يتجولوا في المناطق لتعليم أبنائهم ، فضلاً عن المعوقات التي اعترت العملية التعليمية فأنهم وجدوا صعوبة كبيرة في اللغة الافريكانية وكيفية تعليمها في المدارس فلجأوا إلى تبسيط التعليم وتيسيرها على تلاميذهم^(٢١).

على الرغم من ذلك شهدت المرحلة التي ضمت فيها الحكومة البريطانية جمهورية جنوب إفريقيا (الترانسفال) للمدة من ١٨٧٧-١٨٨١ اهتماماً بالغاً باللغة الانكليزية ، فانتشرت المدارس واقبل الكثير من الناس على ارتداد هذه المدارس ، حتى من البوير ممن لم يرضوا على سياسة الجمهورية ، واقبل على تعلم الانكليزية حيث منح المدرسون ممن أجاد لغتين امتيازات مادية ، ولما حصل نقصا في الكوادر التدريسية استقدمت الحكومة البريطانية مدرسين بريطانيين على النظم الانكليزية في مستعمرة ألكاب^(٢٢).

أما وخلال استقلالها انتهجت جمهورية جنوب أفريقيا ، سيما في المدة من (١٨٨١-١٨٩٠) سياسة معادية للحكومة البريطانية ، حيث منعت لجنة التعليم في البرلمان استخدام اللغة الانكليزية

واقترحت على الهولندية كلغة تدرس في المدارس في عام ١٨٩٠ ، إذ استهدفت تلك السياسة الناحية التعليمية ، فقد شكل القائمون على التعليم لجنة للتعليم حاولت تصحيح المخالفات في اللغة الهولندية إلام . كما وحرمت المدارس الابتدائية والمتوسطة الناطقة باللغة الانكليزية من المساعدات التي قدمتها الدولة للمؤسسات التعليمية عام ١٨٩٦ ، مما عرضها لنقد شديد من الخارج مطالبة إياها بالإصلاح العاجل . إزاء ذلك شعر أغنياء البوير والأجانب الوافدين العاملين من غير البوير في مناجم الماس بضيق تلك الإجراءات فقاموا بإرسال أبنائهم إلى مدارس جمهورية الأورانج الحرة ذات الأغلبية الهولندية أيضا التي استقلت مع جمهورية جنوب إفريقيا وإلى مستعمرة ألكاب ، فضلا عن ذلك أسس الأجانب مجلس ويتوتزرراند للتعليم للاهتمام بمشاكلهم التعليمية والصحية ، واندفعوا لفتح مدارس مضادة لتلك السياسة ، وكانت تتلقى إعانات من الكنائس الانكليزية للحفاظ على قوميتهم ولغتهم . أما البوير فكان هدفهم من التعليم هو الحصول على وظيفة مدنية ، مما اضطرت حكومة جمهورية جنوب إفريقيا لإيجاد وظائف لإرضائهم بغض النظر عن حاجتها لهم^(٢٣) .

وفي الدورة الانتخابية عام ١٨٨٤ في مستعمرة ألكاب استطاع البوير الهولنديون من قيادة حركة واسعة للاعتراف بالهولندية كلغة تعليم في عدد معين من المدارس ، وصدر قانون رقم واحد لعام ١٨٨٤ يضع فيه اللغة الهولندية إلى جانب الانكليزية على قدم المساواة في المحاكم سواء في المدارس أو المحاكم أو في البرلمان^(٢٤) .

على الرغم من ذلك صدر في عام ١٨٩٦ قانون يهدف لإعاقة جهود مجلس ويتوتزرراند للتعليم وقضى بتحويل سلطة تعيين المدرسين وتقرير المناهج الدراسية ، إذ تقرر تغيير المدارس من اللغة الانكليزية في الجمهورية تدريجيا للهولندية ، لكن لم يكتب له النجاح حيث إن القائمون على هذه المدارس من الهولنديين والعاملين فيها أرسلوا أبنائهم إلى مدارس خاصة ، فارتفعت أصوات الشكوى من قبل البوير والبريطانيون معا ، فكتب للمشروع إن يتهاوى نظامه من قبل برلمان الجمهورية في عام ١٨٩٩^(٢٥) .

أما تعليم الأفارقة فلا يختلف عن نظرائهم جنوب خط الاستواء ، فأن لغتهم غير مكتوبة وتعددها لا يجعل لإحداها هيمنة على الأخرى لتصبح لغة عامة ، ففي الوقت الذي شهدت فيه جمهوريات البوير (جمهورية جنوب إفريقيا وجمهورية الأورانج الحرة) قصوراً في الناحية التعليمية ، إذ لم يولي البوير أدنى اهتمام يذكر ، لذا وقع تعليم الأفارقة على كاهل البعثات التبشيرية التي ساءت علاقتها مع البوير بسبب سياستهم مما أثر سلباً على تعليم الأفارقة . من جانب آخر أقبل

بعض الافارقة على تعلم الانكليزية والهولندية معاً ليكسبوا تعاطف البيض ليتمكنوا من العمل في المزارع وتقديم الخدمات^(٢٦).

المبحث الثالث

التعليم في ظل مبدأ الفصل العنصري في جنوب أفريقيا

أدى احتدام الصراع الأوربي بين الانكليز والهولنديين إلى اختلاف تعليم البيض عن تعليم الأفارقة ، فقد وقع تعليم البيض على عاتق المؤسسات الحكومية . أما الكنيسة ففضلاً عن تعليم الفقراء البيض وقع على عاتقها تعليم الأفارقة (الملونين)^(٢٧)، ووفقاً لقانون التعليم الذي صدر في عام ١٨٦٥ ، عندما فصلت المدارس العامة التي تديرها لجان الإدارة المحلية ، ومدارس الكنائس والمحطات التبشيرية ، التي تعني بتعليم الأفارقة المحليين^(٢٨) ، فالمدارس الكنسية الأخيرة ، خضعت هي الأخرى لإشراف لجنة التوراة والمدارس ، فضلاً عن المجلس المدرسين في كل جنوب افريقيا ، إذ اقتضت هذه المدارس على الدراسة الأولية في كل مزرعة أو كنيسة ، ومع قلة كفاءة المدرسين لجأت اللجان المدرسية لاستقدام مدرسين من بريطانيا لحل مشكلة النقص والكفاءة لرفع مستوى التعليم الذي ساهم بدوره في دعم جهود افتتاح كلية جنوب افريقيا التي أسست منذ عام ١٨٢٩^(٢٩).

بدأت في أوائل الثمانينات من القرن التاسع عشر العمل بتوصيات لجنة التعليم في برلمان مستعمرة ألكاب باستخدام اللغة الهولندية كلغة تعليم في مدارس الصف الأول والثاني الابتدائي ، حسب رغبة لجان المدارس ، وهي لجان محلية تشكلت من أولياء الأمور الطلبة والمسؤولين عن التعليم مما رفع من حظوظ الطلبة على تقبل اللغة تدريجياً . وفي شأن آخر بدأت جهود مشابهة أقدم عليها بعض المثقفين من قبيلة (الاكسوزا)^(٣٠) الأفريقية لاستخدام لغتهم كلغة صحافة على الأقل إن لم يستخدموها كلغة تعليم^(٣١).

علاوة على ذلك فقد بذل بعض حكام مستعمرة الكاب في جنوب افريقيا جهوداً كبيرة لعلاج مشاكل التعليم ، سيما بجهود (جورج جراي)^(٣٢) حاكم عالم المستعمرة ، الذي أسس عدداً من المدارس في المناطق القبلية التي امتازت بطابع صناعي في الغالب في مدينة لندال ، ومنحها الأرض والمال ، ومدها بتخصيصات صناعية وتجارية ومنها صناعة العربات التي شاع صناعتها وأخرى للطباعة ، وادخل جراي نظام دفع مرتبات المدرسين في المدارس التبشيرية الى جانب المدارس العامة للبيض . وفي عهده تم فتح مدارس متوسطة في مدن هيلدتاون وسان مارك وسليم

وكراها مزتاون وغيرها ، وقدمت ثلاثة من هذه المدارس تدريباً مهنيّاً صناعياً وزراعياً للملونين والأفارقة^(٣٣).

انشأ الحاكم جورج جراي مكتبة جنوب افريقيا العامة ، حيث ضمت متحفاً طبيعياً والعديد من الحفريات والمخلفات الافريقية ، فضلاً عن مجموعة من الكتب أهديت من قبل الملكة فكتوريا للمكتبة بمناسبة افتتاحها ، كما انشأ جراي معهداً حمل أسمه (معهد جراي Grey Institute) في بورت اليزابيث ، ومنحها والمعاهد والكليات الأخرى حق تأسيس مجلس ممتحنين ، تمهيدا لتأسيس أول جامعة في جنوب إفريقيا ، فيما افتتح أيضاً مدرسة اللاهوت للكنيسة الهولندية المستصلحة في مدينة ستلين بوش . كذلك ادخلت المستعمرة منذ الستينيات القرن التاسع عشر نظم الاصلاح والتقويم في السجون ، إذ عينت لها مدرسين ليقوموا على تعليم السجناء وتثقيفهم^(٣٤).

أولت الحكومات المتعاقبة على مستعمرة ألكاب اهتمام متزايد في الناحية التعليمية وكان آخرها قانون برلمان مستعمرة ألكاب لعام ١٨٧٣ القاضي بانشاء (جامعة رأس الأمل University of the cope of good hope) وشكل لها مجلس جامعة ، كما منحت حق أقرار نظمها الدراسي واجراء الامتحانات ، ومنح الدرجات والالقب العلمية ، وشاركت في البحوث المختلفة في كافة التخصصات سواء الطبية لمقاومة الأمراض ، أو الزراعية الخاصة بالنباتات والمزروعات والحيوانات وكيفية معالجة الأمراض التي تصيبها ، أو جغرافية وغيرها. مما ذاع صيتها شهرة واسعة في جنوب أفريقيا ، الأمر الذي جعل منها محط أنظار طلبة العلم ووجهة الراغبين بالانتماء إليها من باقي المستعمرات البريطانية وجمهوريات البوير ، كما تعهدت حكومة المستعمرة باتخاذ كافة الترتيبات اللازمة لحماية حقوق المؤلفين وطبع نتائجهم العلمية فيها^(٣٥).

وفي الوقت الذي قدر لبعض الفقراء البيض التعليم في المدارس التبشيرية ، إلا أنه بات من الصعب أن يتلقى إفريقي أو ملون تعليمه في المدارس العامة التي اقتصرت على البيض ، وبخلافه فلا بد من أخذ موافقة أولياء أمور التلاميذ البيض ، مما أسس لمبدأ الفصل العنصري في التعليم ، فالمدارس العامة للبيض ومدارس الكنيسة التبشيرية لتعليم الأفارقة والملونيين ، وعلى هذا النحو طالبت لجنة التعليم في برلمان مستعمرة ألكاب في عام ١٨٦٢ بالفصل التام بين البيض والسود ، وأنهاء حالات الاختلاط حتى النادرة منها ، حيث نص القانون على ان تكون مدارس المبشرين مدارس خاصة بالطبقات الفقيرة الى جانب الافارقة والملونين ، هذا يعني ان القانون قد سلب حق الأفارقة والملونين للتعليم في المدارس التبشيرية ، ففي احصاءات رقمية رصدت في عام ١٨٨٣ ، كان قرابة ستة آلاف أبيض في مدارس تبشيرية تضم اثنين وثلاثون ألف إفريقي وملون ، وقد ازداد الرقم عام ١٨٩١ الى اكثر من عشر الاف تلميذ أبيض ، وفي عام ١٨٩٢ قدر نحو

خمس وعشرون مدرسة تبشيرية في (كيب تاون) عاصمة مستعمرة ألكاب ، ضمت أحداها نحو ثلاثة الاف تلميذ أبيض ونحو اربعة الاف ومائتين وثلاثة وثمانون تلميذاً افريقياً وملوناً ، في حين تقاسمت المدرسة التبشيرية في مدينة دنبلوم عدد التلاميذ الى نصفين متساويين^(٣٦).

وعلى نحو استحال في دخول التلاميذ الافارقة والملونين الى المدارس العامة الحكومية ، فقد طالب البيض الذين يتلقى ابنائهم في المدارس التبشيرية بطرد الافارقة منها ، لاعتقادهم بان التعليم سيؤدي الى المطالبة بحقوقهم السياسية ورفضهم العمل في مزارع البيض أو مناجمهم مما يؤثر بالضرورة على تفوق البيض ، لذا اقتصر تعليمهم في المدارس التبشيرية الانكليزية ، طبقاً للإعلان الرسمي المرقم ٣٨٨ حيث أنشأت مدارس تبشيرية بيضاء في عدة أقاليم لتخصص لفقراء البيض على أمل إن تتحول إلى مدارس عامة ، وكان هذا رأي اغلب أعضاء لجان التعليم في المستعمرة ، لأنه يبعد أطفال البيض سيما البنات عن الدخول في علاقات وثيقة مع أولاد الشوارع الملونين ، وعلى هذا الأساس فصل فيه مدارس السود عن البيض على خلفية تقرير المشرف العام للتعليم في مستعمرة ألكاب^(٣٧).

على أية حال جرت عدت محاولات لمؤمنين باختلاط التلاميذ البيض والسود على حد سواء لتخفيف من حدة الفصل العنصري في جنوب إفريقيا ، ففي ليفدال أصبحت المدرسة مختلطة بين البيض والسود عام ١٩٢٦ ، ضمت البريطانيين و افريكانر وملونين وأفارقة من قبائل افريقية مختلفة مثل البوند والتمبو ، فضلا عن مبعوثين من قبائل الباسوتو وبتسوانا والزولو ، وكان الوضع مشابها في مدرسة دنبلوم ومدارس (بيد ففورد Bedford) و(يوتنهيك Uitenhage) و(أوجي Ugie) ، إلا إن تلك المدارس سرعان ما كانت تتلاشى ويتعرض أصحابها للهجوم والنقد الاجتماعي اللاذع من المتخلفين منهم مثل مدير معهد في مدينة ستلين بوش الذي سمح لتلميذين إفريقياين إن يدخلان بين صفوف الطلاب البيض^(٣٨).

وفي خضم الصعوبات والتحديات العديدة التي تعرض لها الأفارقة جراء الفصل العنصري في التعليم ومحاوله إعاقته ، لما يشكله من ضغط ثقافي مستقبلاً ضد البيض ، وعليه فقد اقدم الافارقة المتعلمون على تعليم ابناء قبائلهم بإصدار صحف خاصة بهم كتبوها بلغة الاكسوزا كبرى القبائل الافريقية في المستعمرة ، وتزايدت معاناتهم لرفض المجتمع الابيض الاعتراف بهم^(٣٩).

اختلفت نسب التعليم في جنوب افريقيا بين الجنسين تبعاً لثقافة مجتمعاتهم ، حيث حرص البيض على تعليم ابنائهم كحرصهم على تعلم بنيتهم ، إلا ان البوير الافريكانريين كانوا يزوجون بناتهم في مرحلة مبكرة من عمرهن دون الحصول على تعليمهن ، بينما حضيت البنات الافريقيات حق الاختيار ، مما يوضح مكانة المرأة في المجتمع الافريقي وإقبالها على التعلم أكثر من البنين ،

الذين عدوا الدفاع عن القبيلة والعمل على توفير المال بالخدمة في المزارع والمدن من أولوياتهم^(٤٠).

الخاتمة :

أدت الأساليب التي مارسها الأوروبيون في جنوب افريقيا من خلال فصل التلاميذ السود عن البيض حتى في المدارس التبشيرية الكنسية التي تبنت تعليم أبناء السكان المحليين لتشكل نواة للفصل العنصري في جنوب افريقيا . كما بدأ المتعلمون الأفارقة في بناء حياتهم وفق أساليب تعليمية تقليدية رتيبة ، بالرغم من جسارة التحدي وخشية الأوروبيون لما سيحدثه تعليمهم من مطالبة بحقوقهم السياسية ورفضهم العمل والخدمة في مزارع البيض ، لذلك عانى الأفارقة من رفض المجتمع الأبيض لهم ومنعوا من ابسط حقوقهم في الحصول على تعليمهم .

الهوامش

(١) N. Bell , Heroes of Discovery in south Africa , (London , ١٨٩٩) pp.١١-١٢ ; James Duffy , Portuguese Africa , (London , ١٩٥٩), p١٣٢.

(٢) ملاح برتغالي أول من كشف الطريق إلى الهند عبر إفريقيا مروراً برأس الرجاء الصالح في أواخر القرن الخامس عشر ، للمزيد من التفصيل ينظر :

Kingsley Garland, Vasco Day Gama and his Successors, London Press, (California, ١٩١٠).p.٨٧.Methuen

(٣) نوري السامرائي ، الاحتلال البريطاني لجنوب إفريقيا ١٧٩٥-١٩٠٢ ، (بغداد ، ٢٠٠٥)، ص ٥.

(٤) وهي أول مستعمرة أنشأها الهولنديون بمحض الصدفة حيث شهدت الشركة حادثة مهمة ، ففي شتاء من عام ١٦٤٧ حطمت الرياح والعواصف إحدى سفنها المعروفة (Haarlem) إثناء عودتها من الشرق نحو هولندا ، مما اضطر طاقمها المكوث في جزيرة ألكاب مدة ليست بالقصيرة والتعرف عليها حتى أيقنوا خصوبتها وصلاحيتها للزراعة . وبعد وصول السفينة عام ١٦٤٨ طلب قائد السفينة تقريراً عن أحوال الجزيرة ومدى صلاحيتها لتكون محطة استراحة وتزويد السفن المتجهة إلى الهند والصين بالماء والطعام. فكانت محطة استراحة للسفن الهولندية من وإلى الشرق منذ عام ١٦٥٢ في أقصى الجنوب الإفريقي ، مما شكل انشاءها بداية للوجود الأوروبي في جنوب إفريقيا . للمزيد ينظر :

Harry . H. Johnston , the opening of Africa , (London , ١٩٢٨), pp.٨٠-٨١ ; The New encyclopedia , Britannica , Vol. ١٠ , p.٦٠ .

(٥) السامرائي ، المصدر السابق ، ص ٦ .

(٦) دونالد وايدنر، تاريخ جنوب إفريقيا جنوب الصحراء ، الجزء ١ ، (القاهرة ، ١٩٧٦) ، ص ١٢٤ .

(٧) البانتو : وهم قبائل إفريقية سكنوا الناتال واجزاء من مستعمرة الكاب ، واعتمدوا في اقتصادهم على حرفتي الزراعة والرعي ، وتبلغ نسبتهم نحو نصف سكان جنوب إفريقيا الأصليين . للمزيد ينظر :

S.M. Molima , the Bantu past and present , an ethnographical and histonocal study of the native races of south Africa , (Edinburgh , ١٩٢٠), p.٢٨٦ .

(٨) وتعني تسميتهم (أسياد الرجال) وتركز سكنهم في مستعمرة الكاب وعلى ضفاف شاطيء نهر الأورانج على سواحل الناتال ، امتهنوا حرفة الرعي إذ تمثل الماشية عصب اقتصادهم . للمزيد ينظر:

John sutherll and , memoir respecting the kaffers , Hottentots , and bosjemans , of south Africa , Vol.١ , (Oxford , ١٨٤٥).

(٩) وتعني تسميتهم بـ(رجال الاحراش) ، سكنوا في مناطق عدة من جنوب افريقيا ، امتهنوا حرفة صيد الحيوانات وجمع النباتات والفاكهة. للمزيد ينظر: Ibid.

(١٠) وتعني المواطنون المشتغلين بالزراعة ، وأصل الكلمة هي (Burghers) في اللغة الهولندية ، أي المزارعون ذوو الاصول الهولندية ، وربما تمسكوا بهذا الاسم تمييزاً لهم عن موظفي الشركة بكونهم مزارعين لهم مصالح مغايرة لمصالح الموظفين المكبلين بالضرائب .

Alan Paton , Hope for south Africa , (New York , ١٩٧٣), P.٢١ ; The new encyclopedia Britannica , Vol. ٢ , pp٣١٩-٣٢٠ .

(١١) السامرائي ، المصدر السابق ، ص ٦ .

(١٢) زيدان حسان حاوي الشويلي ، مؤتمر فينا ١٨١٤-١٨١٥ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية /ابن رشد ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٤ ، ص ٥٣-٥٥ .

(١٣) W. Wilson , With the Blag to Pretoria , (London , ١٩٠١), P.٣٢ .

(١٤) السامرائي ، المصدر السابق ، ص ٧ .

(١٥) الافريكانيّة ، هي تسمية ذات مغزى سياسي يقصد منها تحول البوير من تبعيتهم السياسية للوطن إلام هولندا ، أما كلغة فهو امتزاج اللغتين الهولندية والإفريقية لتشكل لغة عرفت بهذا الاسم

Denoon Donald , South Africa since ١٨٠٠ , (New York , ١٩٧٣), P.٣٤ , P.S. Hoshi , Verdict on south Africa (the tyranny of color), (Bombay , ١٩٤٥), P.١٧ .

(١٦) Eric A. Walker , A history of south Africa (London , ١٩٤١), P. ٣٩٤.

Ibid , P.٣٩٦ . (١٧)

(١٨) استقرت المجموعات التي نزحت من مستعمرة الكاب ذوو الأصول الهولندية هرباً من سياسة الحكومة البريطانية التي احتلت مستعمرة الكاب ، إذ عبرت هذه المجموعات نهر الفال مكونة جمهورية الترانسفال وعرفت فيما بعد بـ(جمهورية جنوب إفريقيا) ، وكذلك جمهورية الأورانج الحرة ، حيث حصلتا على استقلالهما عبر اتفاق نهر الساند مع الحكومة البريطانية عام ١٨٥٤. للمزيد ينظر : عباس غلام حسين ، جمهوريتا الترانسفال والأورانج الحرة والموقف البريطاني منهما ١٨٥٠-١٩٠٢ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية /ابن رشد ، جامعة بغداد ، ٢٠١٢ .

(١٩) وتعرف أيضاً (بالهجرة العظمى) حيث اضطر البوير تحت وطأة السياسة البريطانية والقوانين المستحدثة المتمثلة بالاصلاحيات النظامية وتحت ظل حالة الصراع وضغط القوة البريطانية الى نزوح البوير نحو الداخل الافريقي عام ١٨٣٦ الذي عني تاريخياً بـ(الهجرة الكبرى Trek Great) للمزيد عن أسباب الهجرة ينظر :

١٣ ، E.S.c.D. , Attorney , General opinion regarding the great trek , August ١٩٣٦ Doc , No. ٩٣ , P.١٤٥ .

(٢٠) Walker , Op. cit , P.٢٧٠

(٢١) Ibid,P.٢٧٢.

(٢٢) a Economic C.W.De Kiewit, History, of South Africa Social oxford university press, (London, ١٩٥٧),p.٢٦٩.

(٢٣) ميشيل أغيا ، تاريخ الترانسفال ، (القاهرة ، ١٩٠١) ، ص ص ٢٤-٢٥ .

(٢٤) J.H.Hofemeyr, The Political Development , ١٨٧٢-١٨٨٦ , In : Eric A. Walker, The Cambridge History of British Empire, Vol.٨.(Cambirdge, ١٩٦٣), pp.٥٠٢- ٥٠٦.

(٢٥) J.S. Marais ,the cape colors people , (١٦٥٢-١٩٣٧) (Johannesburg , ١٩٦٢) pp.٢٢٠-٢٢١.

(٢٦) G. M. theal , Progress of south Africa , in the century (London , ١٩٢٠), P.٤٦٧.

(٢٧) المجتمع الملون هم خليط من قبائل الهوتنتوس والبوشمن ورقيق غرب افريقيا المنتشرة في جنوب غرب افريقيا والكاب ، فضلاً عن الملاويين المنفيين الذين شكلوا عنصراً غير مرغوب

انعكس سلباً على مكانتهم الاجتماعية. للمزيد ينظر: فيه مما

Marais, Op. Cit , pp. ١-١٣ .

(٢٨) Walker , Op. Cit , P. ٢٤٧ .

(٢٩) Walker , Op. Cit , P. ٢٤٨ .

(٣٠) وهم طلائع قبيلة البانتو ، عرفوا محاربين أشداء ، وقد سكنوا المناطق الشمالية لجنوب إفريقيا إلى الغرب من نهر ساندي ، امتهنوا الزراعة والصيد ورعي المواشي ، وقد خاضوا حروباً ضد الأوروبيون عرفت حروبهم تاريخياً بـ(حروب الكافيرز) وتعني في العربية غير المؤمن (الكافر).

Mdward Mahion and Others , South Africa – History frontier , (Toronto , ١٨٠), PP. ٢٤١-٢٤٢ .

(٣١) Walker , Op. Cit , ٣٩٦.

(٣٢) يعد من انجح الحكام الذين تسلموا منصب الحاكم العام في مستعمرة ألكاب للمدة من (١٨٥٤-١٨٦١) وقضى على حركات التمرد التي قامت بها القبائل الافريقية على حدود المستعمرة الشمالية .

ج.ف. أدبي آجاي ، تاريخ افريقيا العام ، ج ٦ ، (بيروت ، ١٩٩٦)، ص ١٩٨-١٩٩ .

(٣٣) Wilson , Monica and Thompson , Leonard , the oxford history of south Africa , Vol. I , south Africa , to ١٨٧٠ , (oxford , ١٩٧٠), P. ٢٦١

(٣٤) Walker , Op. Cit , P. ٣٠٤ .

(٣٥) Walker , Op. Cit , P. ٣٠٥ .

(٣٦) عقيل جعاز شمخي السهلاني ، سياسة التميز العنصري في اتحاد جنوب افريقيا ١٦٥٢-١٩١٠ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٩ .

(٣٧) Wilson , Monica and Thompson , Op. Cit. , P. ٢٦١ .

(٣٨) Watson , Graham passing for white , Study of racial assimilation in A south African school (London , ١٩٧٠), PP. ٣٠-٣٢ .

(٣٩) Theal , Op. Cit , P ٤٦٨ .

(٤٠) Wilson , Monica and Thompson , Op. Cit. , P. ٢٦٢ .

